

إشارات تدل على عظمة الحميد



«سبحان من أحاط علمه بالكائنات، واطّلع على النيات، وعلم بنهايات الأمور، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، علم ما في الضمير، ولا يغيب عنه الفتيل والقطمير: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى/ 11).

يبدئ ويعيد، وينشئ ويبيد، وهو فعّال لما يريد، لم يخلق الخلق سدى، ولم يتخذ المضلين عصداً، وهو الذي أعطى كلَّ شيء خلقه ثم هدى.

دخل موسى وهارون على رأس الطغيان، فهابا السلطان والصولجان، وخافا في ساعة الامتحان، فنادى رب الورى قوي العرى (قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّ نَذْرِي مَعَكُمْ مَا أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه/ 46).

هرب موسى من فرعون، فاصطدم بالبحر، وضاق الأمر، فصاح بنو إسرائيل: إنا لمدركون فقال: (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِيَنَّ) (الشعراء/ 62).

لما التجأ الرسول مع الصديق إلى الغار وأحاط به الكفار، وفوض الأمر إلى الواحد القهار، قال الصديق: كيف لو رأونا هنا؟!

قال: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (التوبة/ 40).

أصاب الناس على عهده (ص) قحطٌ شديد، فدخل أحدهم والرسول (ص) على المنبر يوم الجمعة، فشكى إليه الحال، وضياع المال، وجوع العيال، فدعا الرسول (ص) ذا الجلال، وناداه وسأله واستجده، والسماء صحو لا غيم فيها، فنار السحاب في لحظة، ونزل الغيث في طرفة عين، وإذا الأرض عين معين (وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ

أجدبت الديار، وجفت الآبار، وبعد العهد بالأمطار، وذبلت الأزهار، ويبست الأشجار، فرفعت نملة يديها ورجليها إلى باريها وخالقها وهاديتها ومطعمها ومسقيها، فدعت وألحت، فأنزل الله الغيث المغيث، والوبل المكث.

سبحان الله! عرفه الهدد بأسمائه وصفاته وآياته ومخلوقاته، فأدعن له بالوحدانية واعترف له بالعبودية، وعضب على قوم كفروا به (يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) (النمل / 24-25).

سبحان الله! إذا وضعت في الأرض بذرة أو حبة لا تنبت حتى تهتز الأرض بقوة قادرة، هزّة خفية فتنفقس البذرة وتنبت (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج / 5).

سبحان الله! انطلقت نجوم من مواقعها من آلاف السنين بسرعة الضوء ولم يسقط بعضها إلى اليوم من طول المدى وتباعد المسافة، واتساع الكون، وعظمة القدرة (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْاِقِعِ الذُّجُومِ) (الواقعة / 75).

سبحان الله! الدودة في الطين يرزقها رب العالمين، والحيات في الماء يغذيه رب الأرض والسماء، والحشرة على الأوراق يطعمها الرزاق (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ شَيْءٍ كِتَابٍ مُبِينٍ) (هود / 6).

سبحان الله! يسير الريح الزمهرير، ويجري الرياح لها صرير، يثير الغمام، ويقطب الأيام، ويجري السحاب (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) (الرعد / 13).

سبحان الله! أهلك القرى لما أعرضت عن دينه، والسماوات مطويات بيمينه، وينقذ من على الهلاك أشقى، ويعلم السر وأخفى.

لمّا تمرّد فرعون وبغى، قال لموسى: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) (النازعات / 24). قال فرعون: أنا باللوهية أولى: (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) (النازعات / 25).

أنشأ الشعوب، أفناها، وأحيا الأمم وأعلاها، لما أباد الدول والملوك الأوّل، جعل هلاكهم للباقيين رمزا (هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) (مريم / 98).

حارت الأفكار في قدرة من****قد هداانا سبلنا عزّ وجلّ

كتب الموت على الكل فكم****فل من جيش وأفنى من دول

مؤمن الخائف، وناصر المظلوم، وعضد الملهوف، ونصير المضطهد، ومطعم الجائع، ومكسي العاري، ومبكي الطاعى.. (كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) (الرحمن / 28). يولي ويعزل، ويملك ويخلع (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ

مَنْ تَشَاءُ بِبَيْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آل عمران/ 26).

خلق السماء وقال عنها: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) (الذاريات/ 47)، وخلق الأرض وقال: (وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ) (الذاريات/ 48).

وعن الشمس يقول: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (يس/ 38).

وعن القمر يقول: (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) (يس/ 38).

وقال عن الماء: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء/ 30).

وقال عن الرياح: (وَهُوَ السَّيِّدُ الرُّسُلِ الرِّيَّاحُ بِإِذْنِ بَدَايَ رَحْمَتِهِ) (الأعراف/ 57).

وقال عن الليل: (وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى) (الليل/ 1).

وقال عن النهار: (وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى) (الليل/ 2).

قال عنه الخليل، لما حاور الملك الضليل: (وَإِنَّ اللَّيْلَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) (البقرة/ 258).

وقال عنه الكلیم لما حاج الطاغية اللئيم: (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه/ 50).

مدح نفسه قبل أن يمدحه المادحون، وأثنى على جلاله قبل أن يُثني عليه المثنون، ووصف عظمته قبل أن يصفه الواصفون، قال عن نفسه: (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) (طه/ 14)، وقال: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أُحَدِّثُ) (الجن/ 26).

وقال: (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ) (غافر/ 3).

الجبال المنيفة، والشواهد المخيفة، أخبر عن خلقها فقال: (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) (النازعات/ 32)، وأخبر عن إبادةها وانتهائها، فقال: (وَيَسْأَلُ لُنُوكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) (طه/ 105-107).

فسبحانه من عظيم! جعل هذا الجرم الهائل من الصخور والرمال يطير في الهواء شذراءً، وبتفتت في السماء مذراً (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (النمل/ 88).

المصدر: كتاب العظمة